مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ تيموثاوس ٣:١٠–١٥)

يا ولدي تيموثاوسَ إنَّك قد استقريتَ تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبَّتي وصبري* واضطهاداتي وآلامي وما أصابني في إنطاكية وإيقونية ولِستَرة. وأيَّةَ اضطهاداتٍ احتملتُ وقد أنقذني الربُّ من جميعِها* وجميعُ الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوعَ يُضطهَدون* أمَّا الأشرارُ والمُغوونَ من الناسِ فيزدادونَ شرًّا مُضِلّينَ ومُضَلّين* فاستمرَّ أنت على ما تعلَّمتَه وأيقنتَ به عالماً ممَّن تعلَّمت* وأنَّك منذ الطفوليّةِ تعرفُ الكتبَ المقدَّسةَ القادرةَ أن تُصيِّركَ حكيماً للخلاصِ بالإيمانِ بالمسيحِ يسوع.

كتاب التريودي

تفتتح الكنيسة الأرثوذكسية تهيئة أبنائها للصوم الكبير المقدس في احد الفريسي والعشار. وابتداءً من هذا اليوم يدخل إلى الصلوات الطقسية كتاب التريودي الذي يُعدّ موسوعة للروحانية الأرثوذكسية بما يحويه من صلوات وترتيب للخِدَم، بل هو خير مرشد إلى سر التوبة عنوان الصوم وأساسه.

وتمتدّ فترة استخدامنا للتريودي طيلة عشرة أسابيع، ثلاثة منها هي بمثابة تهيئة للدخول في جهاد التوبة، تليها ستة أسابيع الصوم، ثم يأتي الأسبوع العظيم المقدّس ليتوّج مساعي الإنسان للعودة إلى الله والدخول في شركة موت المسيح وقيامته.

أحد الفريسي والعشار في بداية التريودي يضعنا أمام سرّ التواضع، مفتاح كل مسعى لدى الإنسان للتقرّب من الله. نرتل فيه: «إذ قد ثقلتا عيناي من تلقاء آثامي فلا أستطيع أن أتفرس ناظراً في أفق السماء، لكن أنت أيها المخلّص اقبلني تائباً كالعشار وارحمني».

أما أحد الإبن الشاطر الذي يليه فهو خير استعلان لمحبّة الله الفائقة التي تقبل الإنسان العائد من الخطايا وتحتضنه وتقدّس حياته. «سبيلنا يا إخوة أن نعلم قوة هذا السر، أن الإبن الشاطر لما فر من الخطيئة مسارعاً... كيف الآب الكلي صلاحه استقبله مصافحاً...».

صباح السبت التالي نقيم تذكار الراقدين على رجاء القيامة والحياة.

في الأحد الثالث من التريودي (أحد مرفع اللحم)، تضعنا الكنيسة أمام واقع الدينونة العامة. تذكّرنا أنّ مصير الإنسانية ومآلها هما الوقوف أمام منبر المسيح المرهوب حيث ينال كلٌّ منا حسبما صنع. فالتاريخ ليس متروكاً من الله لتعبث به أهواء البشر. «إنني أتصور ذلك اليوم وتلك الساعة، إذ نحن مزمعون أن نقف عراةً لدى الحاكم المقسط مدانين...».

ثم نعيّد نهار السبت لسائر الآباء الأبرار القديسين الذين بلغوا بسيرة الطاعة والتنقية كمال الحياة الروحية ومحبة المسيح.

أما الأحد الرابع من التهيئة والذي

العدد ٢٠١١/٧

الأحد ١٣ شباط

أحد الفريسي والعشار

تذكار أبينا البار مرتنيانوس

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الخامس

الإنجيل

(لوقا ١٨: ١٠-١٤)

قال الربُّ هذا المَثَل: إنسانان صعِدا إلى الهيكلِ ليصلّيا أحدُهما فرّيسيٌّ والآخرُ عشّارٌ* فكان الفريسيُّ واقفاً يصلّي في نفسهِ هكذا أللَّهمَّ إنّي أشكرُكَ لأنّي لستُ كسائر الناسِ الخَطَفةِ الظالمين الفاسقين ولا مثلَ هذا العشّار* فإنّي أصوم في الأسبوعِ مرَّتين وأُعَشِّرُ كلَّ ما هو لي* أمَّا العشّارُ فوقفَ عن بُعدٍ ولم يُرِدْ أن يرفعَ عينيه إلى السماءِ بل كان يقرَعُ صدرَهُ قائلاً أللَّهمَّ ارحمني أنا الخاطئ* أقول لكم إنَّ هذا نزلَ إلى بيتهِ مُبرَّراً دون ذاك. لأنَّ كلَّ مَن رفعَ نفسَهُ اتَّضع ومَن وضعَ نفسَهُ ارتَفع.

تأمل

إذاً، علينا ألاّ نتكبّر لا لأجل غنانا ولا لأيّ مزيّة فينا، ولنحاول أن ندرك طبيعتنا ونفكّر بخطايانا ونعرف قيمتنا الحقيقيّة. إنّ معرفة الذات ستضع التواضع في تُعلن فيه الكنيسة انطلاقة مسيرة الصوم الكبير، فهو أحد مرفع الجبن. نقيم فيه ذكرى طرد آدم وحواء من الفردوس، مستذكرين دعوة الإنسان الأصلية، ومسلّطين الضوء على واقعه الآني من حيث هو تباعدٌ عن الله وانفصالٌ عن الشركة معه. «أيتها السيدة القديسة، يا مَن فتحت لكل المؤمنين أبواب الفردوس التي كان قد أغلقها آدم قديماً بالمخالفة، افتحي لي أبواب المراحم».

نقيم مساء هذا الأحد صلاة الغفران، حيث يستغفر المؤمنون بعضهم بعضاً مظهرين بذلك بدء مفاعيل المصالحة بين الله والخليقة، التي صنعها المسيح بمجيئه إلى الأرض، وأتمّها بارتفاعه على الصليب.

أما صباح اليوم التالي فتنطلق رحلة الصوم المقدس، التي تقود الإنسان في السعي الحثيث إلى التوبة، عبر تدريبات النسك الجسدي والالتجاء المستمر إلى الله بالصلاة والتضرّع والاتّضاع، عساه يبلغ، بشوق الروح واستعداد الجسد الحسن، فجر القيامة المنير.

المسبحة

يتساءل كثيرٌ من الأرثوذكسيين عمّا إذا كانت كنيستهم المقدّسة تحوي ضمن صلواتها العديدة ما يُسمّى بصلاة المسبحة، الأمر الموجود في سائر الكنائس الأخرى. كما أنّ كثيرين يعلمون بوجود المسبحة، ويتزيّنون بها واضعينها حول معصمهم، إلاّ أنّهم إمّا لا يعرفون كيف تُستعمَل، أو يستعملونها بطريقة خارجة عن تقليدنا الأرثوذكسي.

نقرأ في مَثَل الفريسي والعشار صلاتين متناقضتين تماماً: صلاة الفريسي المتشامخ الذي يدين الآخرين معتبراً نفسه أفضل من الجميع، وصلاة العشّار المتواضع الذي يقرّ بخطاياه من دون أن يجرؤ على النظر إلى السموات، قائلاً: «يا الله ارحمني أنا الخاطئ»، فسمع الله صلاة هذا الأخير وبرّره، أما الفريسي فلم تُسمع صلاته (لو ١٨: ٩-١٤).

ما علاقة هذا النص بالمسبحة؟ في تقليدنا، صلاة المسبحة هي صلاة العشار. نحن نصلّي على كلّ حبّة من حبوب مسبحتنا قائلين مثل العشّار: «ربّي يسوع المسيح ارحمني أنا عبدك الخاطئ». تختصر هذه العبارة الكثير في كلماتها القليلة. فيها نعترف بأنّ يسوع المسيح هو ربُّنا وليس لنا ربٌّ آخر، كما نعترف بأنّنا خطأة ونحتاج إلى الرحمة، أي نتذكر خطايانا كالعشّار عوضاً عن إدانة الآخرين كما فعل الفريسي. كما نقرّ بأنّنا عبيد لله وليس للخطيئة، وهذا يجعلنا نفكّر أكثر، عندما نصلّي، بأن علينا أن نكون عبيداً صالحين على مثال سيدنا الصالح.

عندما نعتاد على صلاة المسبحة، أو ما يُسمّى في تقليدنا «صلاة يسوع»، يصبح اسم يسوع المسيح دائماً على شفاهنا وفي قلوبنا. قال الأب أنّوف (من آباء الصحراء المصرية): «منذ أن حلّ عليَّ اسم المسيح لم يخرج من فمي كذب». إنّ هذه الصلاة تبدأ بواسطة الشفاه، وعندما تعتاد شفاهنا عليها تنتقل إلى القلب فيعتاد عليها كلُّ كياننا، حينئذٍ يخرج ذكر يسوع المسيح مع كلّ دقّة من دقّات قلوبنا، وبهذا تُطرد كلُّ الأفكار الشريرة المعشّشة فينا لأنّنا نصَّبنا المسيح مَلِكاً على

نفسنا، فمَن يعتبر أنّه ليس ذا قيمة، فقد عرف نفسه جيداً.

لا شيء مَرضيٌ جداً لدى الرب بقدر المتواضع. قال: «احملوا نيري عليكم وتعلّموا مني لأنّي وديع ومتواضع القلب» (متى ١١: ٢٩). لو لم يكن متواضعاً حقاً، مع أنّه ابن الله العليّ، فهل كان سيختار فتاةً عادية لتكون أمّه؟ لو لم يكن خالق العالم المنظور وغير المنظور متواضعاً، فهل كان سينزل من السماء إلى الأرض؟ لو لم يكن المسيطر على غنى كلّ الخليقة متواضعاً، فهل كان سيقبل أن يُضجع في مذودٍ فقير؟ لو لم يكن البريء والمعصوم عن الخطأ متواضعاً، فهل كان سيُجلد ويُهزأ به ويموت على الصليب لأجل خلاص الناس الخطأة والمذنبين؟ كم هو متواضع حتى أنّه ضحى بنفسه من أجل الخطايا التي فعلناها نحن. إنّه متواضع، وهو الله، إلى درجة أنّه يطلب منّا ويتوسّل إلينا، نحن خلائقه، أن نتوب لكي لا نُهلك أنفسنا.

قلوبنا وأفكارنا وحياتنا كلها.

يقول الأب البار بورفيريوس الرائي: «لا تفكّروا مطلقاً بأن تطلبوا أمراً محدداً، بل أطلبوا الاتّحاد مع المسيح بتجرّد من دون أن تقولوا: أعطني هذا وذاك... يكفي أن تقولوا: أيّها الرب يسوع المسيح ارحمني». متى اعترفنا بتوبةٍ بأنّنا خطأة غير مستحقين يهبنا الله كل ما نحتاجه دون أن نطلبه، أمّا إذا تشتّت كلٌّ منّا عن الصلاة بسبب الطلبات التي نريد أن يمنحنا إيّاها الله، فلن نحصل على شيء لأنّ صلاتنا تكون صلاة مصلحة وغير نابعة من قلب تائبٍ متواضع.

إلى جانب الصلاة التي ذكرناها، يمكننا أن نصلّي بواسطة المسبحة إلى والدة الإله قائلين: «أيّتها الفائق قدسها والدة الإله خلّصينا»، أو إلى الملاك الحارس وسائر القديسين طالبين شفاعاتهم من أجل أن يرحمنا الرب الإله: «بشفاعات القديس... أيّها الرب يسوع المسيح ارحمني». إضافةً إلى كل هذا، يمكننا استعمال المسبحة مصلّين من أجل الآخرين أحياء أو راقدين: «ربّي يسوع المسيح إرحم (أو أرح نفس عبدك) فلان». أن يحمل بعضُنا بعضاً في الصلاة أمر علينا أن نتعوّده أيضاً، وهذا يدلّ على أنّنا مسؤولون عن خلاص إخوتنا مسؤوليتنا عن خلاص أنفسنا، الأمر الذي يجعل الجميع مرتبطين برباطٍ قويّ لا يتزعزع هو رباط المحبة والصلاة، وبهذا نعبّر صراحةً عن كوننا كنيسةً واحدة، جسداً واحداً في المسيح يسوع.

صلاة المسبحة ليست ترداداً عقيماً، إنّما هي ذكرٌ لإسم يفوق كلَّ اسم، اسم ربنا يسوع المسيح. إذا كان أحدٌ منّا مُغرماً فإنه لا يفتر عن ذكر محبوبه في كلّ أحاديثه. فمن أهمّ من معشوقنا الإلهي لكي نبقي ذكره على شفاهنا وفي قلوبنا، ومتى حضر المسيح ترحل كلّ أفكار الكبرياء والنميمة والثرثرة وما إلى ذلك من الشرّ ويبقى هو ملكاً على حياتنا.

مدرسة الثلاثة الأقمار

بمناسبة عيد الثلاثة الأقمار، القديسين غريغوريوس اللاهوتي وباسيليوس الكبير ويوحنا الذهبي الفم، ولمناسبة اختتام سنة اليوبيل الـ١٧٥ لتأسيس مدرسة الثلاثة الأقمار، ترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة القداس الإلهي صباح الأحد ٣٠ كانون الثاني ٢٠١١ في كاتدرائية القديس جاورجيوس شاركت فيه أسرة المدرسة. ثم أُقيم حفل استقبال في أوتيل «لو غبريال» في الأشرفية تخلّله كلمة لمديرة المدرسة السيدة نايلة ضعون، كما كان لسيادته الكلمة التالية:

«نلتقي اليوم بمناسبة الاحتفال بالسنة الـ١٧٥ لتأسيس مدرسة الثلاثة الأقمار.

لهذه المدرسة تاريخ قديم محت الحروب المتعاقبة الكثير من آثاره، لكنها لم تستطع محو ما تركته من أثر بليغ في مَن تربوا فيها.

لقد أراد مؤسسو مدرسة الثلاثة الأقمار أن تكون هذه المؤسسة العريقة صرحاً علمياً وتربوياً يستفيد منه أبناء هذا الوطن من كافة الفئات والطبقات. وقد خرّجت الكثير من كبار وطننا نذكر منهم الأديب جرجي زيدان والدكتور نقولا يوسف فياض، وهو طبيب ونائب، ومؤسس جريدة النهار

إذاً، هل لديك فكر متواضع؟ لا تزهُ بنفسك! فكّر إلى أيّ درجة تنازل سيّدك، حينئذٍ لن تتكبّر بل ستسخر من نفسك أيضاً، ولو كنت الأكثر تواضعاً من جميع الناس، لن تكون قد عملت شيئاً مهماً نسبة إلى ما عمله المسيح. فضلاً عن ذلك، ماذا سيكون ربحك لو قادك التواضع إلى الكبرياء؟ إنّ كلّ مَن يقول إنّه من الأحسن أن نحصل على فضيلةٍ وأن نتكبّر بدلاً من أن نقع في خطيئةٍ ونتواضع فهو يجهل الخسارة التي يسبّبها الكبرياء والربح الذي يسبّبه التواضع، لأنّ الإنسان الذي يحقّق أمراً ويتكبّر بسببه سيسقط بسرعة – كما برهنت الخبرة – في الخسارة الأعظم. على العكس، فإنّ الذي يقع في خطيئةٍ ويتواضع بسبب سقطته، يصبح أكثر خبرةً وينهض ثانيةً بسرعة ويصلح خطأه، طبعاً إن أراد هو ذلك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

جبران إندراوس التويني والشاعر بشارة الخوري المعروف بالأخطل الصغير والبطريركين غريغوريوس الرابع حداد وثيودوسيوس السادس أبو رجيلي وغيرهم الكثير.

مِن أبرز مَن توالى على إدارتها: الأستاذ نعمت يافث، د. جبور عبد النور، ريمون أبو حلقة، جورج فرح، والبطريرك إغناطيوس الرابع هزيم عندما كان شماساً، وبعده الأرشمندريت غريغوريوس الصليبي.

منذ نشأتها كانت مدرسة الثلاثة الأقمار صرحاً تربوياً مهماً وقد احتوت مكتبتها مخطوطات ومؤلفات قيّمة ونادرة في مجالات العلم والفن والأدب. كما كانت من أولى المدارس التي جُهزت بالمختبرات التطبيقية في أوائل القرن العشرين، إلا أن الحرب دمّرت مكتبتها ومختبراتها ولم يسلم من تجهيزاتها إلاّ القليل. وبما أننا نؤمن أن المدرسة هي الرحم الذي يُنتج رجال الغد، لم ننحنِ أمام الصعوبات والخراب الذي خلّفته الحرب، ولم نغلق مدرسة الثلاثة الأقمار بل جاهدنا لكي نعيد إطلاقها لتتابع رسالتها في بناء الأجيال.

بمَ تتميّز مدرسة تؤسسها الكنيسة؟

رسالة المدرسة التابعة للكنيسة بناء الإنسان المتكامل. إن الإنسان مخلوق على صورة الله ومثاله، والدور الأبرز للمدرسة هو جعل التلميذ والتلميذة، جعل الإنسان الذي يتعلّم فيها، يكتشف ما زرعه الله فيه من مواهب وعطايا وجمالات ليتمكن من تثميرها وتنميتها. من خلال عملية النمو هذه، تحدث تحوّلات عميقة في شخص الإنسان ومن خلاله في المجتمع والوطن والكون.

مدرسة الثلاثة الأقمار تفاخر بتاريخها الطويل، لكن هذا يحمّلها مسؤولية المستقبل. لذلك تم تطويرها بشرياً وتقنياً لتستمر في تأدية الرسالة، ولم تستطع الأيام الصعبة أن تبعدها عن مسارها الأول وعن الهدف الذي رسمه لها الآباء المؤسسون.

كذلك لا تكتفي المدرسة التابعة للكنيسة بالتلقين، ولا تحصر مهمتها بالتعليم والتربية فقط، بل تحفّز التلميذ من خلال برامجها الروحية والثقافية والفنية على اكتشاف ما زرعه الله فيه من أبعاد إنسانية لينمو على صعيد القلب والروح فيكتسب الحكمة والفهم ولا يتوقف عند حدود المعرفة الجافة.

وللخدمة الاجتماعية مكانة خاصة في مدارسنا، فتلامذة المرحلة الثانوية يقومون بما يوازي مئة وخمسين ساعة عمل تطوعي في المؤسسات الأهلية والإنسانية ليكتشفوا من خلال آلام الآخرين وشقائهم عظم العطايا التي أغدقها الله عليهم. هذه الخدمة وما يرافقها من خبرة لا تترك في نفوس تلامذتنا أثراً طيّباً وخبرة حياتية وحسب بل تترك أيضاً في المؤسسات التي يعملون فيها أثراً رقيقاً وطيّباً لما في قلوبهم من محبة وروح خدمة وعطاء.

إن مدرسة الثلاثة الأقمار تتطلع بعزم وثبات إلى خدمة أبناء هذه الكنيسة وهذا الوطن لأنهم يستحقون الأفضل. لذلك رغم الصعوبات التي تعترضنا، والتحديات التي تواجهنا، لا نتراجع ولا تضعف عزيمتنا بل نثابر في خدمة الرب من خلال خدمة إخوته هؤلاء الصغار.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb